يكتبه خليل السكاكيني ، في مذكراته المعاصرة للاحتلال حول الموقف « منذ اخذت الحكومة العثمانية تنسحب من القدس ، والجيش الانجليزي على الابواب ، فقد اختلفت اراء الناس حول مصير فلسطين » فبعضهم يراها ستصير انجليزية ، وبعضهم يرى انها ستلتحق بمصر ، بينما يرى البعض الآخر انها ستصير حرة . وفي الوقت الذي يتأسف البعض على العهد العثماني ويتخوف من العهد الجديد ، وبخاصة بعض المسلمين الذين يرون ان ذهاب الدولة ضربة على الإسلام وان دخول الانجليز يعزز النصرانية ويعلي شأن الصليب ، يوجد فريق من المسيحيين « الصعاليك » ينتظرون مجيء الانجليز لتعتز النصرانية ، فيشمخوا بانوفهم وقد كانوا بالامس اذل من وتد »[٣] . ومهما يكن من شأن هذا الانقسام والشعور بالضياع في مثل هذه الفترة الانتقالية في حياة البلدان السياسية ، فان الموقف الارجح والمتمشي مع الاتجاه العام لتيار الحركة العربية ، كان ناقما على الاتراك ويرى ان البلاد كانت بالامس حائرة صاغرة ، ذلت للترك دهرا كما تذل فتاة قاصرة[٤] .

ولذلك فليس غريبا ان يتشفى البعض بهزيمة الاتراك ، ويستقبلوا ببراءة ، جيوش الفتح (الاحتلال) الانجليزية ، التي لقيت عون الاهالي ومساعداتهم وودهم ، بالترحيب والاستبشار . واذا عرفنا احوال البلاد السيئة التي آلت اليها إبان الحرب ، فانه يمكننا ان نتصور كيف كان الناس أيامها يحتفون في سائر المدن بدخول الحلفاء ، وبأية براءة كانوا يحتفلون (بالنصر والاحتلال) معا ، حتى ان بعض شعرائهم نظموا القصائد ترحيباً (بالحلفاء) وتشفياً بالاتراك . فهذا الشاعر اسكندر الخوري البيتجالي ، كأنه يقف على رأس اجتماع شعبي يردد باسلوب بسيط ساذج متأثر باسلوب العامة في احتفالات الموالد والاجتماعات الدينية ، فيقول في تخميس مؤلف من ست وثلاثين تخميسة وبعنوان « رويدا ايها المدفع » ، بعد ان بين مظالم الاتراك وغدر حكامهم :

فتاة القدس طوباك ... بشير الخير وافاك
لواء السعد والاك ... وجيش العز باراك

فحيي الجيش والمدفع

أيا بنت الشآم كفى ... دعي التنديد والأسفا
زمان الذلة انصرفا ... وجاءات دولة الحلفا

لأخذ الثأر بالمدفع

بني التاميز قد فزتم ... وبالانقاذ قد جئتم
بلاد القدس شرفتم ... فاهلا اينما كنتم

وسهلا فيكُمُ اجمع

بلادي اليوم تستند ... عليكم ايها العُمَدُ
على اخلاصها اعتمدوا ... وفي استقلالها اجتهدوا

بذا نحيا بذا نقنع[٥]